أسلوب التفاوض عند سلاطين دول المغرب الإسلامي من خلال المعاهدات
- كتاب زهر البستان نموذجا -

د.محمد شبوب/ جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

أمال سالم عطية /جامعة أحمد بن بلة–1– وهران–

ملخص:

موضوع هذه الدراسة هو المفاوضات التي دارت بين دول المغرب الإسلامي من خلال المعاهدات التي أبرمت من طرفهم، والتي كانت تتم في الغالب عن طريق سفارة تتولى ذلك، ولا تهدف هذه الدراسة إلى سرد الأحداث التاريخية ولكن دراسة وتحليل بعض الجوانب الهامة وهي: إبراز بما تتميز به الوثائق الدبلوماسية، وأهم المعالم الدبلوماسية التي وضعها السلاطين من ضوابط وشروط المعمول بها في الفترة الوسيطة، وكذلك دور السفراء في إنجاح هذه المفاوضات.

الكلمات المفتاحية: سفارة، سفير، فقهاء، علماء.

Abstract:

The theme of this study is the negotiations between the Islamic Maghreb countries through treaties concluded by them, which was done mostly by the Embassy holds it, and this study aims to historical events listed but study and analysis of some important aspects, namely: to highlight the manner characteristic diplomatic documents, the most important diplomatic milestones set by the sultans of the guidelines and conditions applicable in the intermediate period, as well as the role of ambassadors to the success of these negotiations.

Key words: Embassy - Ambassador - scholars - scientists

مقدمة:

لقد نشأ علم التفاوض عبر التاريخ وأوردته النصوص التاريخية المختلفة زاخر بالشواهد القصصية والأدلة القرآنية حول هذا جانب كثيرة وتاريخنا الإسلامي زاخر بالشواهد القصصية والأدلة القرآنية فالتفاوض كأداة للحوار جوهر الرسالة الإسلامية والأسلوب القرآني خير دليل على ذلك كأفضل أسلوب للإقناع(محمد علي،م، 2011:ص4)، (قال تعالى: ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (سورة النحل، الآية125) وهذا من شأنه أن يؤدي إلى نشوء مواقف حوارية تفاوضية حقيقياً يؤدي بدوره إلى تبلور مفهوم التسامح مع الآخر (محمد علي،م، 2011:ص4). هذا و كان سلاطين دول المغرب الإسلامي أثناء الحروب عملوا إلى اللجوء للتفاوض ولهذا وضعوا قوانين وشروط وضوابط، من أجل إتمام عملية التفاوض وفي هذه الدارسة سنتطرق إلى أسلوب التفاوض الذي كان معمول به في المغرب الإسلامي من خلال كتاب زهر البستان.

تم نشر كتاب زهر البستان ثلاثة مرات من طرف ثلاثة أساتذة الدراسة الأولى من عناية وتقديم محمد بن أحمد باغلي (زهر البستان، تحقيق باغلي،2011)، الذي اكتف بنقل النص إلينا دون تحقيق والثانية من تحقيق وتقديم بوزياني الدراجي (زهر البستان، الدراجي، 2011)، والثالثة من تحقيق عبد الحميد حاجيات (زهر البستان، حاجيات،2011) وهو الكتاب الذي قمنا من خلاله هذه الدراسة. وهي أحسن طبعة يعتبر كتاب زهر البستان في دولة بني زيان من أهم الكتب التي ألفت حول تاريخ الدولة الزيانية، وذلك لان المؤلف تحدث عن أحداث وقعت في عصره، وأغلبها وقعت بتلمسان وأحوازها، أو في قصر السلطان الزياني بالمشور، ولهذا يعتبر مؤلفه شاهد عيان، ومما يؤسف له أننا لا نعرف شيئا عن مؤلف هذا الكتاب، ويرجع محقق الكتاب انه نظرا إلى بعض أراء المؤلف بانتمائه إلى سلك موظفي ديوان دواوين الدولة (حاجيات، 2011، ص3). يتناول الكتاب اخبار دولة بني زيان من أوائل سنة 760هـ/1359م إلى أواخر سنة 754هـ/1363م (حاجيات، 2011، ص6).

1- **مفهوم التفاوض:** تندرج ضمن تعريف التفاوض عدة تعريفات وهي:

التفاوض هو محادثات تجرى بين فريقين متحاربين من أجل عقد هدنة أو صلح، التفاوض مرحلة من مراحل الحوار، قبل الوصول إلى اتفاق، وهو الأسلوب الذي يدير به السفراء والمبعوثون العلاقات الدولية، وهو عمل الرجل الدبلوماسيين (أندرسون، د-ت، ص11)، هذا ويعرفه بعضهم أن التفاوض يشمل كل مجالات الحياة وفي كل الأوقات وفي كل الأماكن أي أنه نشاط يومي يقوم به الأفراد وبشكل غير رسمي وهذا ما يجعلنا نخلص لمفاهيم التفاوض، وبالتالي فالتفاوض يعكس التواصل الفكري آو المعرفي بين الدول، ولهذا عمل سلاطين دول المغرب الإسلامي، على وضع السفارات التي كانت لسان حال السلطة، ولذلك مثلت السفارات صورة مشرقة من الحوار السياسي والدبلوماسي(قاسم، 2009، ص17-18).وعليه وجب تعريف السفارة التي تقوم عليها العملية التفاوضية. هذا وقد أطنب صاحب زهرة البستان في التحدث عن استقبال ممثلي السلطان المريني بقصر تلمسان، مناسبة الموافقة على عقد الصلح بين الدولتين، وإشهاد أبي حمو الثاني، ويذكر الحوار الذي دار بين الطرفين، وما صدر عنهما من خطاب ومعاهدات (حاجيات، 2011، ص4)

2- مفهوم السفارة: مصدر من الفعل سفر، وهي بكسر السين وهي النيابة يقال سفرته بين القوم أي اصطلحت (النووي ، ص179)، وعرفها أبو فارس السفارة على أنها تدل على الانكشاف والجلاء ومن ذلك سمي بذلك لأن الناس ينكشفون عن أماكنهم، والسفر: المسافرون وسفر بين القوم سفارة إذ أصلح فهو من الباب لأنه أزال ما كان هناك من عداوة وخلاف (ابن فارس، 1979، ص82).

وفي لسان العرب سفر أيضا بمعنى أضاء وأشرق (ابن منظور، ص2225) وفسر القرطبي سفر بمعنى مشرقة مضيئة والتي وردت في القرآن الكريم (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (38) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) (سورة عبس، الآية 38-39)

المتتبع لمفهوم لفظ السفارة في اللغة لا يكاد يجدها تخرج عن مفهومها الاصطلاحي، ويراد بها أيفاد شخص معتمد للقيام بمهمة معينة (ضميرية، 2000، ص27)، وجاءت في كتاب زهر البستان المفاوض بمعني الرسول والسفير، وهي تدل على أن مصطلح الرسول و السفير لا فرق بينهما ويحملان نفس الدلالة، فأغلب المعاجم تعرف السفير على أنه الرسول والعكس صحيح لأن كلاهما يؤديان نفس المهمة(ضميرية، 2000، ص27).

لقد سبق المسلمون غيرهم في وضع قواعد وضوابط اختيار الرسل والسفراء المبعوثين(جمال، 2010-2011، ص41) وسار عليها أيضا سلاطين المغرب الإسلامي في اختيار سفرائهم، وهذه الصفات لا يستغني عنها السفير، وقمنا بتقسيم الشروط التي توفرها فيه إلى قسمين: ومن خلال ما جاء في كتاب زهرة البستان والمعاهدات التي قاموا يتضح سلاطين المغرب الإسلامي راعوا مجموعة من الشروط التي يجب أن يتميز بها السفير نذكر منها:

1- الصفات الشكلية:

لمظهر السفير الدور الكبير في نجاح مهمته، فكلما كان أنيقا في مظهره جميلا في اسمه جذب النفوس إليه قبل الدخول إلى مكامن نفسه، والمظهر الخارجي يبدأ باسم السفير وحين صورته وحسن مظهره (الفتلاوي، 2006، ص171) وبناء على ذلك نقسمها إلى :

أ- الإسم :

محبة الرسول ρ للاسم الحسن مشهورة في السنة النبوية المطهرة (جميل نجم، ص130)، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول" لاطيرة وخيرها الفال قيل يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم (صحيح مسلم، 2000، ص979).

وما روي عن النبي ρ كراهيته التسمي بالأسماء القبيحة ، ففي حديث عن عمر بن الخطاب انه صلى الله عليه وسلم أنه: "غير اسم عاصية، وقال أنتِ جميلة" (صحيح مسلم، ص950)، ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أشيعوا الكنى فإنها منبه.ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق (الطنطاوي، 1986،ص44-48)، وقد جاء عن عمر بن العاص في جاءت عند ابن الفراء انه قالت الحكماء: ثلاثة تدل على ثلاثة الهدية على المهدي والكتاب على الكاتب، والرسول على المرسل (ابن الفراء، ص38).

وقد أمر الرسول ρ أن يكون السفير أو الرسول جميل الاسم، فقد روي عنه قال: "إذا أبردتم إلي بريدا فابعثوه حسن الوجه حسن الاسم" (الطبراني، 1995، ص367-368) بالنسبة للدول الأخرى كان الرهبان والقناصل والتجار سنتناوله في الفصول القادمة.

ب-الصورة الحسنة:

يقصد بحسن الصورة أن يكون السفير جميلا وأنيقا وان تكون أعضاءه متكاملة ومتناسبة مع بعضها وان يكون غير مصاب بعاهة أو تشويه لان السفير معد لمقابلة الملوك والأمراء فلابد أن تكون صورته ما تبعث في النفس المسرة وتغرس فيها روح المحبة (الفتلاوي، 2006، ص176)، ومما جاء عن أبي حمو الزياني انه قال:" أن يكون السفير مليح الهيئة والصورة، فيه محاسن مشهورة" (أبو حمو، 2014، ص186)، وقال أيضا أبو الفراء: "يستحب في الرسول تمام القد وعبالة الجسم، حتى لا يكون قميئا ولا ضئيلا. وإن كان المرء بأصغريه، مخبوءا تحت لسانه. ولكن الصورة تسبق اللسان، والجثمان يستر الجنان ولذلك ما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: " يُؤذن لكم، فيُقدم أحسنكم اسما، فإذا دخلتم قدمنا أحسنكم وجها، فإذا نطقتم ميزتكم ألسنتكم ... وكانت أعين الملوك تسبق إلى ذوي الرواء من الرسل؛ وإنما توجب ذلك في رسلها لئلا تُنفذ واحدا إلى امة، وفدا إلى جماعة، وشخصا إلى شخوص كثيرة. فاجتهدوا في أن يكون ذلك الواحد وسيما جسيما يملأ العيون المتشوقة إليه فلا تقتحمه، ويُشرف على تلك الخِلق المتصدية له فلا تستصغره" (ابن الفراء، ص47)، وهذا مصداقا لما قاله عليه الصلاة والسلام في الحديث السابق ذكره:" إذا بعثتم إلي بريدا فابعثوه حسن الوجه وحسن الاسم" (الطبراني، 1995، ص367-368)، لان الوجه القبيح مذموم والطباع عنه نافرة وحاجات الجميل إلى الأجمل اقرب وجاهة في الصدور أوسع (الفتلاوي، 2006، ص178) .

ج- النسب:

على الرغم من اعتناء العرب بأمر النسب، وفضلوا السفير ذا المحتد الكريم و الأصل النبيل على غيره، فالنبيل لا يصدر عنه إلا النبل (جميل نجم، ص125)، فإننا نجد سلاطين المغرب لم يولوا اهتماما بالغا للنسب بل اكتفوا بان يكون أهل الوجاهة والأمثلة على ذلك كثيرة.

د-المظهر:

يقصد بحسن المظهر أن يجتمع في الشخص نظافة الجسم والملبس، والتناسق ألوان ملابسه ونوعيتها وملاءمتها لأذواق الناس وعاداتهم (الفتلاوي، 2006، ص181) ، وقد جاء أنه قالوا: ينبغي أن يجمل السفير بكل ما أمكن، والعامة ترمق الزي أكثر مما ترمق الكفاية والسداد، وكانوا يعنون بذلك، حتى عن امبراطور بيزنطة دهش من كثرة تجمل سفير المعتصم إليه (جميل نجم، ص131)، ، وقد بلغ من اهتمام الإسلام به بحسن المنظر أن أمره بتفقد ملابسه والسعي في إصلاح شأنه، ولو كان في سفر تجنبا للتبذل في اللباس، روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه وكانوا في سفر قادمين على أهليهم وإخوانهم:" إنكم قادمون على إخوانكم فأصلحوا رحالكم وأحسنوا لبساكم، حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس فإن الله لا يحب الفحش ولا التفحش" (سنن أبو داود، ص187). وقد اوجب الله تعالى على البشر أن يتزينوا لقوله تعالى" قل من حرم زينة الله تعالى اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك بفضل الآيات لقوم

يعلمون" (سورة الأعراف: الآية32)، وفي تفسير الآية انه لم يحرم الله على العباد الزينة بل وسع علهم من الطيبات وجعلها لهم ليستعينوا بها لعبادته (السعدي، 2003، ص264) ،وقال تعالى "(يَابَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ.) " (سورة الأعراف: الآية31).

وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يلبس الملابس البيضاء والتكحل بالكحل فقد روي عنه انه قال: "البسوا من ثيابكم البياض فإنها خير ثيابكم وكفنوا فيها موتاكم وان خير أكحالكم الإثمد يجلو البصر وينبت الشعر" (سنن أبو داود، ص168)، ويبدوا أن سفراء المغرب الإسلامي لم يخرجوا عن هذا الإطار لأنها الصفات المتعارف عليها في تلك الفترة، على الرغم من عدم وجود إشارات تبين الملابس التي ارتداها السفراء إلا أنها أكيد أو على الأرجح لا تخرج عن العُرف المتبع في تلك الفترة، إضافة أن سبب اختيار المظهر الجميل واللباس والاسم في الإسلام إلا من اجل نجاح مهمة السفير وأيضا يدل المظهر على مدى الاحترام الذي يكنه المرسل للمرسل إليه في اختياره شخص كامل الصفات.

2- الصفات الموضوعية:

أ- أسباب أخلاقية:

يعد منصب أو وظيفة الرسل من الوظائف الأساسية التي عرفتها بلاد المغرب، واعتبرت على غرار المناصب المهمة الأخرى كالحجابة والوزارة، وقد أولى السلاطين شروط يجب توفرها من يتولى السفارة، فاعتبروا الأخلاق من أهم الشروط التي يجب أن يتميز بها السفير لان أخلاق السفير هي أخلاق الإسلام التي بينها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم، ووضع أصولها رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنته وصحابته الكرام في سلوكهم القائمة على الفضيلة والقيم، فأُعتبر صدق السريرة وحسن الخلق من أوكد واجبات من يتولى السفارة (خطاب، م، 1996، ص 278) هذا مصداقا لقوله الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِين) (سورة التوبة: الآية119)، وقول عز وجل: (أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ) (سورة البقرة: الآية44)

ولهذا نجد أن أغلب المصادر التي وقعت بين أيدينا تركز على الصدق والأمانة التي يجب أن تتوفر في السفير إذ يقول ابن رضوان:" فيجب عليك أن تختاره أرفع من بحضرتك عقلا وبصيرة وهيئة وأمانة، مجنبا لجميع الريب، فإن وجدته كذلك، فأرسل به وفوض إليه، بعد أن تعرف غرضك، ولا توصيه بما يأتي به، ...وإن لم يكن بهذه الصفة فليكن أمينا ثقة يقظا" (ابن رضوان، 1984، ص346)

وهو ما أوصى به أيضا أبي حمو ابنه قائلا: "أن يكون صادق القول حافظ على الأسرار، كاتما لجميع الأخبار" (أبو حمو، 2014، ص186)، وأما الماوردي فيقول:" أن تكون صولاته رائعة المنظر كامل المخبر صحيح العقل حاضر البديهة ذكي الفطنة فصيح اللهجة جيد العبارة ظاهر النصيحة موثوق بدينه وأمانته مجربا منه حسن الاستماع والتأدية كتوما لإسرار عفيفا عن الأطماع غير منهمك في الهوامش والسكر والشرب" (الماوردي، 1983، ص276).

ومن الأخلاق التي يجب أن يتحلى بها السفراء الجرأة في قول الحقيقة والصدق فيها حيث يقول ابن الفراء في هذا الشأن قائلا: والرسول مع هذه الأمور محتاج من الإقدام والجرأة إلى مثل ما يحتاج إليه من الوقار والركانة، لأنه ليس كل الطبقات يشتد، ولا لكلّها يلين، وربما لم يسعفه إلا أن يصدع بالرسالة على ما فيها فمن لم يكن جريئا حرّفها، وأخل بها وأفسد معانيها" (ابن الفراء، ص36)، ونجد أن السلاطين تخيروا العلماء في اغلب سفارتهم، ومن الأمثلة على ذلك رفض الفقيه أبي الحسن التنسي (700-706هـ/1300-1306) العودة إلى مدينة تلمسان، بعد أن كلفه سلطانها برسالة إلى السلطان أبي يعقوب المريني (شريخي، ص 112).

2- أسباب علمية:

أ-الخطابة:

تعد الخطابة إلى جانب الإمامة من الوظائف الأساسية في المسجد، إلا أنها ارتبطت هي الأخرى بالسفارة وهذا مرده لكون الخطابة وظيفة إعلامية مهمتها الأساسية التأثير في الآخرين(خطيف، 2011، ص 162)ومن العلماء الذين تولوا الخطابة والسفارة من أمثال : أبو محمد الحباك (يحي بن خلدون، 2007، ص163) وابن مرزوق الخطيب (التنبكتي، 2011، ص450-455).

ب-الفصاحة:

حرص السلاطين على توفرها في السفير إذ يقول أبي حمو عن السفير" فصيح اللسان حسن العبارة والبيان"، (أبو حمو، 2014، ص186)أما ابن الفراء فيقول:" اختر لرسالتك في هدنتك وصلحك ومهماتك ومناظرتك والنيابة عنك، رجلا حصيفا، بليغا حولا قُلّبا، قليل الغفلة منتهز الفرصة، ذا رأي جزل وقول فصل، ولسان سليط" (ابن الفراء، ص33).

كما أكد ابن رضوان على ذلك بقوله:" ...ذا بيان وعبارة بصير بمصادر الكلام، وأجوبته، مؤديا لألفاظ الملك، ومعانيها صادق اللهجة" (المالقي، ص 346).

ج- العلم بالنظم السياسية.

وهي التحصيل العلمي الذي يملكه العالم في الجانب الشرعي وتفقهه فيه، وهو ما حرص الإمام القلقشندي في كل مرة كان يستعرض فيها النظم السياسية التي يجب أن تتوفر في الكاتب (ولد سخال، ص374)، إذ قال:" والكاتب الماهر يوفي كل مقام ويعطي كل الفصول المستحقة" (القلقشندي، ص5).

وقد عمل بهذه النصائح سلاطين المغرب وهو ما نستشفه من خلال ما أورده صاحب زهر البستان عن السفارة التي ترأسها أبي القاسم ابن رضوان صحاب الإنشاء لأبي سالم السلطان (حاجيات، 2011، 135-136) "بعثه لتكملة الإشهاد على المولى أبي حمو مللك بني عبد الواحد... لان ابن رضوان هذا ناظورة كتاب الأندلس والمغرب، وصاحب الإنشاء المطرب المعجب، بعثه سلطانه أبو سالم للمباهاة ولإعظام هذا المصالحة والموالاة لتقرب ذكائه وفطنته وتقربه منه ومكنته" (حاجيات،2011، 135-136). ففي سنة توجه عيسى بن روح سفيرا سنة 762هـ/1360م من طرف السلطان المريني أبي سالم إلى السلطان أبي حمو الثاني، حسب ما ذكر صاحب زهر البستان أن سبب رغبة أبي سالم المريني من أن أجل تحسين العلاقات بينه وبين أبي حمو، ومن أجل الاتفاق على المناطق الشرقية التي كانت سبب الصراع، إذ يذكر

صاحب زهر البستان قائلا: "...إذ أتى الرسول المذكور أول البواعث، فأنزله المولى أبو حمو بدار كرامته... ولما كمل ثلاثة أيام استحضره وسأله عن إتيانه فأخبره.فقال:" عن مولاي أبا سالم بعثني إليك وهو يسلم عليك، يطلب منك الموالاة، والكف عمّا وقع من الشتات، وأنه لم يكن من مراده الحركة على بلادك، وإنما كان ذلك من قبل بني مرين حين رأوا من استدراك...واعلم أن مولاي أبا سالم ليس له إلا ساعة يقطعها في لهو وطرب، ومراح وخلاعة ولعب، وقد أراد أن تكون أيامه أيام سلم ومهادنه... وقد وجهني إليك ولا علم الأكثر الأشياخ بما كان، وقد أودعني سرّاً..." (حاجيات،2011، 131-132).

يتضح من خلال هذا النص أن طلب الصلح من طرف أبي سالم جاء خفية عن شيوخ بني مرين، بسبب مقتل البعض من أفراد القبائل في المعارك التي كانت بين الدولتين، لهذا اقترح أبا سالم أن يرسل مع سفيره عيسى بن روح أحد أولاد أبي حمو كسفير حتى يظهر أمامهم شيوخ بني مرين رغبته لحقن الدم بين الدولتين، يبدو أن أبا سالم كان يفهم نفسية شيوخ القبائل والتي ما كانت لترضى إلا بأحد كبار أفراد الزيانيين لعلو مكانته. وكان رد أبي حمو قائلا:" ما على وجه المحاسنة وصلاح الإسلام، فأفعل ذلك من غير ملام..." (حاجيات،2011، ص132).

لما انتهى عيسى بن روح من سفارته، أمر له أبي حمو بإعطائه هدية تتكون من كسوة سنيّة، وكذلك من الذهب (حاجيات، 2011، ص132).

عملا بالإتفاق الذي حدث بينهما أرسل السلطان أبي حمو سفارة ترأسها ابنه أبي تاشفين، في شأن الاتفاق وعلى المصالحة وقد أرسل معه في السفارة وزيره عمران بن موسى نائبا عنه، وقاضي الجماعة بتلمسان احمد بن الحسن شاهدا على ما يسمع به (حاجيات، 2011، ص133)، وأعلام تحلة من عبد الواد (يحي بن خلدون، ص86) وجهزت السفارة بهدية تتكون من مائة حصان من العتاق، وما يرافقها من الذخائر والنفائس (حاجيات،2011، ص132-133). هذا يدل على مدى خطورة المهمة وأهميتها، حيث أوفد كبار الدولة الزيانية وحملهم الهدايا كما تبين نية الطرف الزياني في الصلح وهي توضح الحنكة الدبلوماسية للسلطان أبي حمو من أجل الحصول على رضا شيوخ القبائل .

تم استقبال هذه السفارة بكل حفاوة من طرف السلطان المريني حسب ما تقتضيه المراسيم الدبلوماسية التي كانت آنذاك، وهنا نذكر ما جاء عن صاحب البستان قائلا:" ولما دخل عليه رحب به ترحاب الملوك الكرام وأنسه بالمجلس باللين من الكلام..." (حاجيات، 2011، ص133)، وذكر يحي بن خلدون أيضا هذا الاستقبال قائلا:" واعد لهم ملك المغرب السطان أبو سالم لإنزالهم الدور الرحبة والفرش المرفهة والقرى الزيل، واركب للقائهم يوم الوصول أعلام دولته وكبار قبيلته للسلام عليهم كل احتفاله ..." (يحي بن خلدون، ص86)، وكان في المجلس كبار شيوخ بني مرين والعلماء، واستهل أبا تاشفين المفاوضات معهم قائلا:" يا أيها الملك السعيد، إن مولاي وجهني للمصالحة والتسديد، والكف عن المفاتنة، والجنوح إلى المهادنة، وأن يكون القبيلان يدا واحدة على الكفار...فإن الصلح مندوب إليه شرعا، والخلاف منهي قطعا، ويد الله مع الجماعة" (حاجيات، 2011، ص133)، بعدها تكلم الفقيه احمد بن الحسن ما ستحسنه الشيوخ، ثم تكلم الوزير عمران بن موسى بما يليق من الكلام، حتى رقت نفوس بني مرين (مجهول،

حاجيات:2011، ص133)، ثم أخذ السلطان أبو سالم مع بني مرين يلين قلوبهم بالكلام اللين وقال لهم:" يا بني مرين، انظروا ما في السلطان أبي حمو من الرقة واللين، جنح بنفسه للمصالحة والمهادنة والموالاة والمحاسنة مع قدرتنا عليه، فنعم ما فعل وما ندب إليه..." (حاجيات، 2011، ص134).

استطاع أبو تاشفين والوفد المرافق معه في إقناع شيوخ بني مرين بالصلح ، وكان من نتائجه تمكنهم من إطلاق سراح الأسرى من بني عبد الواد، ورجع أبي تاشفين والوزير والقاضي محملين بالهدايا، وأرسل معهم أيضا رسولين وهما: اونزمار بن عريف شيخ قبيلة سويد ومحمد بن النوار، واستقبلوا بحفل عظيم، فرحا لعودة أبو تشفين وكذلك استبشارا لنجاحه في سفارته، إذ يقول صاحب البستان:" فكان لدخوله بروز عظيم، وصيت جسيم، فرحت لذلك الأولياء، وشرقت الأعداء (حاجيات، 2011، ص135).

أنزل الرسولين الذين جاءا من طرف أبي سالم في سفارة ابنه أبو تاشفين، بما يليق بهما، ثم استحضرهما بعد ثلاثة أيام، إن اغلب السفراء كانوا يستقبلون في اليوم الثالث من مجيئهم وهي العادة التي كانت سارية في ذلك الوقت على الأرجح عملا بالسنة النبوية التي تقتضي بإكرام الضيف ثلاثة أيام، إذ قالρ:(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ ، وَالضِّيَافَةُ ثَلاَثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذَلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ) (صحيح البخاري، 2011، ص740).

وقد قدم السفيرين هدية السلطان أبي سالم، على أنها هدية البشارة على هذه الموالاة واخبراها انه سيرد عليه سفيرا من طرف سلطانهم من اجل استكمال شروط الصلح (حاجيات، 2011، 135).

في أوائل جمادى الثانية من سنة 762هـ/1360م وصل الفقيه أبو القاسم بن رضوان سفيرا عن السلطان أبي سالم، وكان اختيار أبو القاسم بن رضوان بهذه المهمة راجع لأنه كان صاحب الإنشاء و القائم على كتابة العقود، وقد بدأت كتابة شروط المهادنة بحضور الفقهاء الزيانيين وكبار شيوخها والوزراء، وانعقدت شروط المهادنة على الصلح على الحدود القديمة، ماعدا الجزائر ووهران، وعلى هدنة مدتها أربعة أشهر (حاجيات، 2011، ص136) ، يبدو بانا السفارة التي يتم إرسالها يجب ان يكون ضمنها فقيه وقاضي وكاتب الإنشاء كل هؤلاء له وظيفته التي يقومها فالكاتب الإنشاء من أجل كتابة ما جاء من شروط، والفقيه والقاضي يمثلان العارفين بحقوق الطرفين وبأحكام الشرع، ويكون هذا أمام شهود يمثلون كبار القبائل.

الملاحظ على أنه على الرغم من إبرام معاهدة الصلح إلا انه احتفظ أبو سالم بوهران ولم يرضى تسليمها رغم إلحاح رسله في ذلك، حيث أرسل في أواسط شهر رمضان من نفس السنة الوزير عمر بن عبد الله بن علي اليابابي سفيرا، وقد استقبل من طرف أبي حمو وجرت مفاوضات بين الوزير عمر بن عبد الله والوزير الزياني عبد الله بن مسلم وتمسك الطرف المريني على أن وهران والجزائر تم استثنائها في شرط المصالحة وهو الأمر الذي أدى الخلاف بين الطرفين، ورجع السفير في الثاني من يوم عيد الفطر إلى أبي سالم ولم تنجح مفاوضاته مع الوزير ابن مسلم، بل آلت إلى خصام شديد وغادر السفير المريني تلمسان غاضبا (حاجيات،2011، ص138).

قد جاء عن أبي حمو في واسطة السلوك رواية أخرى عن سبب مجئ السفير عمر بن عبد الله إذ يقول:" وقد اتفق لنا ذلك مع عمر بن عبد الله وزير ملك المغرب أبي سالم حين أرسله إلينا بالجد العازم، والعهد اللازم، ليتحيل بعض الحيل علينا، ويخادعنا بين يدينا، مع قوة سلطانه، ورفيع مكانه...فأنزلناه عند وزيرنا عبد الله بن

مسلم لما بينهما من تأكيد متقدم..." (أبوحمو، 2011، ص248)، وبعدها أمر وزيره باختباره فوجده رجلا يريد المكيدة عن طريق إعطاء المال لأهل وهران طلبا لولائهم للمرينيين من دون أبي حمو، ويريد الخديعة على عبد الله بن مسلم حتى يجتذبه إلى جانبه هو وسلطانه، وذلك لما كان تقدم بينهما من المودة والصداقة، فلما عرف ذلك أبو حمو أخذ يدخله على مجالسه الخاصة، ويتحدث أمامه بما يوهمه انه من أسراره، فزاد بذلك طمعه، وأبطأ في العودة إلى سلطانه وأبو حمو يطيل بقاءه عمدا لديه، والأخبار ترد على أبي سالم، فتزيد سوء الظن به سوءا، ولما عرف أبو حمو تأكد الحقد بين الطرفين، وانخداع الرسول بتقريب السلطان إليه، أطلق سراحه، فغادره، معاهدا إياه أن يغدر بالسلطان أبي سالم (وداد القاضي، 1975، ص24). وهي تكشف هذه السفارة أنه قد يكون السفير جاسوسا، ويعمل من اجل إشعال الفتن ، ولكن في هذه السفارة ولم تنطلي الحيلة على أبي حمو الذي تمكن بفراسته التعرف على حيله، مما استغله في قلب السحر على الساحر وبث الحقد بين السفير وسيده وهو مكان احد الأسباب التي أدت إلى مقتل السلطان أبي سالم كما سنرى فيما بعد.

2- معاملة الرسل والسفراء من خلال ما جاء في زهر البستان:

مع تطور العلاقات السياسية والاقتصادية لدول المغرب الإسلامي مع جيرانها من الدول، ظهرت الحاجة إلى وضع قواعد خاصة لتنظيم الرسل والسفراء، وقد وضع الفقهاء القواعد التي يتماشى معها السفير ومنحوه الامتيازات الآتية:

أ-توفير الأمان: يقول الله تعالى: **(وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ)"** (سورة التوبة:الآية06)، أي أنه أمن حتى يرجع إلى بلاده وداره ومأمنه، فالأمان مبدأ عظيم من مبادئ وقواعد الإسلام (الفتلاوي، ص165)، وهو ما حافظ عليه أيضا سلاطين المغرب الإسلامي.

ب- الاستقبال: يتم هذا وفق مراسيم حيث يتم إرسال من يستقبل السفراء من طرف سلاطين المغرب الإسلامي، وبعد وصلهم يتم استقبالهم في قصورهم، لمدة ثلاثة أيام وبعدها يتم استدعائه من طرف السلطان لمعرفة سبب سفارته، يلاحظ أن بقاء السفير ثلاثة أيام، عملا بواجب الضيف وإكرامه لثلاثة أيام مصادقا لقوله صلى الله عليه وسلم:"..... وبعد معرفة حاجته يؤمر لها بهدايا يأخذها معه، وهو ما نستشفه من خلال ما ذكره صاحب البستان إذ يقول: " جاءه رسولا من المولى أبي حمو الملك الحازم، فاعد له خير دارٍ للكرامة، واحتفل به احتفالاً يليق بالإمامة، ثم وجّه من وجوه حضرته من يليق للقائه، وعمِل على راحته واحتفائه" (حاجيات،2011، ص133)، ويقول في موضع آخر:" فأكرمهما أجمل إكرام، وقابلهما بما تقابل به الأرسالُ أُولي الإكرام. وعندما سلّما عليه اقبل عليهما إقبال السّارّ، وقال مرحبا برسولي خير الملوك الأحرار"، ثم إنه استحضرهما بعد ثلاثة أيام، وعمل لهما مجلس حفيلاً للكلام (حاجيات، 2011، ص135).

خاتمة:

من خلال ما جاء في كتاب زهر البستان يتبين أن سلاطين المغرب الإسلامي اهتموا اهتماما بالغا باختيار من يتولى عملية التفاوض والذي تمثل في السفراء ووضعوا شروطا لاختيارهم، ونلاحظ أنه تناوب على هذا المنصب العلماء والوزراء والحجاب وحتى السلاطين أنفسهم لأداء هذه المهمة باعتبارهم يمثلون النخبة في المجتمع ناهيك عن معرفتهم بالأحكام الشرعية، كما بين صاحب زهر البستان الكثير من المصطلحات الرسمية التي كانت تستعمل في المعاهدات التي كانت تبرم بين دول المغرب الإسلامي.

قائمة المصادر والمراجع:

-القرآن الكريم.

أ-الحديث النبوي.

1. -البخاري أبو عبد الله، (ت256هـ/869م)، صحيح البخاري، تقديم أحمد محمد شاكر، مكتبة عباد الرحمن، مصر،2011م.
2. أبو داود السجستاني، (ت 275هـ/،888م) سنن أبي داود،حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط ومحمد كامل قروبلي، دار الرسالة العالمية، دمشق، 2009م.
3. مسلم بن الحجاج القشري النيسابوري(ت 26هـ/875م)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2000م.

ب-المصادر:

1. -أبوحمو موسى الزياني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تحقيق وتعليق محمود بوترعة، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.

- أبو زكريا النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1،د.ت.

2. -التنبكتي أحمد بابا ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهرامة وضع هوامشه وفهارسه طلاب كلية الدعوة الإسلامية طرابلس، ليبيا، ط1، 1989.
3. -ابن رضوان أبي القاسم المالقي، الشهب اللامعة في السياسة النافعة، تحقيق علي سامي النشار، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1984
4. -ابن مريم المليتي، البستان في ذكر العلماء والأولياء بتلمسان، دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 2011.

5. -ابن منظور : لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، مج1، ج23.

6. -الناصري أبو العباس ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد =الناصري، ج3، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997

7. -الماوردي، نصيحة الملوك، تحقيق خضر محمد خضرن مكتبة الفلاح، ط1، 1983

8. -محمود شيت خطاب، سفراء النبي صلى الله عليه وسلم، ج2، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط1، 1996.

9. -مجهول، زهر البستان في تاريخ دولة بني زيان، تقديم وتعليق محمد بن أحمد باغلي، دار الأصالة للنشر، الجزائر، 2011.

10. -مجهول، بوزياني الدراجي، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر،2013.

11. -مجهول، زهر البستان في تاريخ دولة بني زيان، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، دار عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

12. -ابن الفراء، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، لبنان، ط3، 1993

13. -الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي، القاموس المحيط، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2005.

14. -أبو القاسم الطبراني، المعجم الأوسط، ج7، تحقيق طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن ابراهيم الحسيني، دار الحرمين للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1995

15. -القلقشندي أحمد ين علي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،ج6

16. -عبد الرحمن بن ناصر الدين السعدي، تيسير الكريم الرحمن، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار ابن حزم، بيروت، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.

17. -يحي بن ابن خلدون بغية الرواد في ذكر ملوك من بني عبد الواد، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الرحمن حاجيات،ج1، علام المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر،2011.

المراجع:

1. -باربارا أندرسون، التفاوض الفعال، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، د-ت.

2. -جمال أحمد جميل نجم، أحكام الرسل والسفراء في الفقه الإسلامي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2008،

3. جمال سهيل، البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال القرن11هـ/17م، رسالة ماجستير غير منشورة، المركز الجامعي بغرداية، الجزائر،2010-2011، ص41.

4. -سهيل حسين الفتلاوي، الدبلوماسية الإسلامية، دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص171.

5. -محمود علي و محمد عوض الهزايمة، ملخص كتاب المدخل إلى فن التفاوض، د-ن، 2011

6. صابرة خطيف، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، دار جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011 .

7. قاسم خضير عباس، المبادئ الأولية في القانون الدبلوماسي، دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2009

8. -هدى محمدي السيد عبد الفتاح، معجم مصطلحات الحرف والفنون في كتاب تخريج الدلالات السمعية للخزاعي، ط1، دار بلنسية للنشر والتوزيع، مصر، 2008، ص91.

9. -عثمان بن جمعة ضميرية، السفارة والسفراء في الإسلام، د،م ، 2000

10. -علي الطنطاوي، أبو بكر الصديق، دار المنارة للنشر والتوزيع، جدة، السعودية ،ط3، 1986

11. -وداد القاضي، "النظرية السياسية للسلطان أبي حمو الزياني الثاني ومكانها بين النظريات السياسية المعاصرة"، مجلة الأصالة ، السنة الرابعة، العدد 27،الجزائر، 1975